

السؤال النبوي الشريف

دراسة حديثية تربوية تحليلية

■ بقلم د. محمد عبدالرزاق الرعود

و أ. مراد شحادة شكيب يوسف

❖ المبحث الثالث: من طُرق ومقاصِد الرسول ﷺ في سؤالاته:

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: من أساليب الرسول ﷺ في السؤالات:

تعريف الأساليب:

الأساليب لغةً: جمع أسلوب، وهو الطريق[١١٧].

يقال: سلكتُ أسلوبَ فلان في كذا، أي: طريقتَه ومذهبَه.

وطريقة الكاتب في كتابته.. ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوِّعة[١١٨].

وفي الاصطلاح: هي طرق الرسول ﷺ التي استخدمها في سؤالاته، ومنها:

١: أسلوب التشبيه وضرب الأمثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إنّ الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟! قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟». قالوا: لا يا رسول الله! قال: «فهل تمارون في الشمس ليسَ دونَها سحابٌ؟». قالوا: لا يا رسول الله! قال: «فإنَّكم ترونَه كذلك»[١١٩].

وفي هذا الحديث شبَّه رسول الله ﷺ للصحابة رؤية الله تبارك وتعالى برؤية

القمر ليلة البدر، وبالشمس ليس دونها سحاب، وهذان الوصفان يدلان على وضوح الرؤية، ويؤكدان حصولها كما وعد بذلك ربُّ العزَّة حين قال: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ❁ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾**[١٢٠].

«وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علوِّ الله على خلقه»[١٢١].

مثال آخر: عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «أرأيتم لو أنّ نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمسَ مرّات، هل يبقى مِن درنِه شيءٌ؟». قالوا: لا يبقى مِن درَنِه شيءٌ. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحُ الله بهنَّ الخطايَا»[١٢٢].

وكان رسول الله ﷺ يستعمل أسلوب ضرب المثل في كثير مِن الأحيان، ليستعينَ به على توضيح المعاني التي يريدُ بيانَها، بحيث يجعلُ العلمَ الذي يريد إبلاغَه قريبًا للسامعين.

فهو ﷺ يضرب المثل بما يشهَدُه الناس بأبصارهم، ويعايشونَه بحواسِّهم، وفي هذا الأسلوب تيسيرٌ للفهم على المتعلِّم، واستيفاءٌ تامٌّ سريعٌ لإيضاحِ ما يُعلِّمُه أو يحذرُ منه، ومن ذلك:

ما رواه جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بالسُّوق، داخلاً من بعض العالية[١٢٣]، والنَّاس كنَفَتَيه[١٢٤]، فمرَّ بجدي أسكَّ[١٢٥]، فتناولَه فأخذ بأذنه، ثم قال: «أيُّكم يحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟». قالوا: ما نحبُّ أنَّه لنا بشيءٍ، وما نصنع به؟! قال: «أتحبُّون أنَّه لكم؟». قالوا: واللهِ لو كانَ حيًّا كان هذا السَّكَكُ عَيبًا فيه» لأنَّه أسَكّ، فكيفَ وهو ميِّتٌ؟! فقال: «فوالله للدُّنيَا أهونُ على الله مِن هذا عليكم!»[١٢٦].

نَرى أنَّ رسول الله ﷺ انتهزَ مناسبة مشابهة لما يريد أن يعلِّمَه لأصحابه رضوان الله عليهم فربطَ بين ما رآه مع ما أرادَه، حيث ربطَ ﷺ بينَ حال ذَلك الجَدي الأسكّ وهوانِه على النَّاس، بحال الدنيا وهوانِها على الله.

فظهر المُراد للمخاطبين من الصحابة بوضوح وبيان شديدين، ومفادُه ازهدوا في الدنيا زهدكُم بهذا الجَدي الأسك، فهي أهون على الله مِن هوان هذا الجَدي عليكم.

٢- أسلوب المقايسة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رجلاً أتى النبي



ﷺ فـقـال: يا رسـول الله وُلِدَ لي غُـلامٌ أسـودُ، فقال: «هل لك مِن إبل؟، قال: نعم. قال: «ما ألوانُهَا؟». قال: حُمْرٌ، قال: «هل فيهَا مِن أورَق؟»، قال: نعم. قال: لعلَّه نزعَه عِـرْقٌ. قـال: «فلعلَّ ابنكَ هـذا نـزعَـه عرقٌ»(١٢٧).

هذا منه ﷺ ربطٌ للعلمِ بخبرَة ومستوى المتعلِّم، حيث استخدم ﷺ القياس على ما اعتادَه المخاطَب من حياته وبيئته العمليَّة.

قال ابن حجر: «وفيه تشبيه المجهول بالمعلوم تقريبًا لفهم السائل، واستدل به لصحة العمل بالقياس»(١٢٨).

قايسَ رسول الله ﷺ ليبين أمرين:

أحدهما معلوم والآخر غير معلوم لدى المسؤول » كي يبيَّن له حكم ما سأل عنه، ففهم بذلك ما لم يكن معروفًا لديه، وفي هذا إجابة غير مباشرة» لأن الجواب المباشر سرعان ما يزول، أمَّا أسلوب المقايسة ففيه استمراريّة.

ولا شكَّ أن اتباع النبي ﷺ أسلوب المقايسة في السؤال المطروح، يؤدي إلى تعليل الأحكام إذا اشتبهت على المسلمين، وغَمُضَ عليهم حكمها، فيتّضح لهم ما اشتبه أمره، وخفيَ عليهم.

٣: أسلوب التعريض:

عن عائشة رضي الله عنها أنَّ بَرِيْرَةَ جاءَت تستعينُهَا في كتابَتِهَا، ولم تَكن قضَت مِن كتابتِهَا شيئًا، قالت لها عائشة: ارجعي إلى أهلك، فإن أحبوا أنْ أقضيَ عنكِ كتابتَكِ ويَكُونَ ولاؤُكِ لي فعلتُ.

فذَكَرَت ذلكَ بريرَةُ لأهلِهَا، فأبَوْا، وقالوا: إن شاءَت أنْ تحتَسِبَ عليكِ، فلتفْعَل، ويَكونَ ولاؤُكِ لَنَا.

فذكَرَت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ابتَاعي، فأعتِقي، فإنَّمَا الولاءُ لِمَن أعتقَ».

قال: ثمَّ قام رسول الله ﷺ فَقال: «ما بالُ أُناسٍ يشترطونَ شرطًا ليسَ في كتابِ الله؟! مَن اشترطَ شرطًا ليس في كتاب الله، فليسَ لَهُ، وإن شَرَطَ مائةَ شرطٍ، شَرْطُ الله أحقُّ، وأوثَقُ»(١٢٩).

مثال آخر: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنَّا في غزاة، فكَسَعَ رجلٌ مِن المهاجرينَ رجلاً مِن الأنصار، فقال الأنصاريُّ: يا للأنصار، وقالَ المهاجريُّ: يا للمهاجرينَ. فسَمِعَ ذلكَ رسول الله ﷺ فقال: «ما بالُ دَعْوَى الجاهليَّة؟.. دَعُوهَا فإنَّها منتِنَةٌ»(١٣٠).

في الأمثلة السابقة نرى أنَّه ﷺ



استخدم السؤالات تعريضًا، وأنَّها كُلَّهَا في باب الإنكار.

«وفي إبهامه ﷺ وعدم مصارحته ومواجهته بالزجر، إشعارٌ بأنَّ مِن دقائق صناعة التعليم: أن يزجرَ المعلِّم المتعلِّمَ عن سوء الأخلاق باللطف والتعريض ما أمكن، مِن غير تصريح وبطريق الرحمة مِن غير توبيخ، فإن التصريح يهتِكُ حجابَ الهيبَة، ويورثُ الجرأةَ على الهجوم بالخلاف،ويهيِّجُ الحرصَ على الإصرار»(١٣١).

ولا شكّ أن من كان قصده تصحيح الخطأ لا يهمّه ذكر صاحبه» «لأن المقصد هو تعريف المخطئ أن فعله لا يحلّ ليقلع عنه ويتركه، وهذا يتحقق بنقد الأفعال الخاطئة دون ذكر أصحابها.

ولأن ذكر المخطئ بخطئه على ملأٍ من الناس تشهير به، مما قد يؤدي إلى الحقد على المشهِّر، أو إلى تحدثه بعيوب النّاس وأخطائهم. وفي ذلك تبرئة لنفسه أو تهويناً بخطئه.

ولأنّ مواجهة المربِّي المُربَّى بخطئه يخجل المربى ويُحرجه، وهذا أمر ليس مقصوداً بذاته في التربية، بل المقصود هو إصلاح الفرد، فلا حاجة إذن إلى الإحراج. ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعمل أسلوب التنبيه على الأخطاء دون ذكر أهلها»(١٣٢).

٤- أسلوب الإتباع والتعقيب:

وقصدت بالاتباع، أن يتبَع رسول الله ﷺ السؤال الذي يطرحُه بيانًا له، أو يتبع العمل الذي قام به سؤالاً بقصد بيان هذا العمل:

فعن عائشة رضي الله عنها أنَّ قريشًا أهمَّهم شأنُ المرأة المخزوميَّة التي سرقَت، فقالوا: ومَن يكلِّم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومَن يجترئُ عليه إلا أسامةُ بن زيد حِبُّ رسول الله؟! فكلَّمَه أسامَةُ فقال رسول الله ﷺ: «أتشفَعُ في حدٍّ مِن حدود الله؟». ثم قام فاختطَبَ ثم قال: «إنما أهلكَ الذين قبلكُم أنَّهم إذا سرقَ فيهم الشريف تركوهُ، وإذا سرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ، وأيمُ الله لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقَت لقطعَ محمَّدٌ يدهَا»(١٣٣).

في إنكاره ﷺ بأسلوب السؤال، دلالة على حُرمَة التشفُّع في حدودِ الله تبارك وتعالى، ولخطورة هذا الأمر وأهمِّيته أتبعه رسول الله ﷺ بخُطبَة في النَّاس، وبيَّن لهم حُرمَة ذلك الفعل، وعاقبة أمره فيما لو استجابَ له من أنيطَ به تطبيق الحدود.



وهذا منه ﷺ بيانٌ لسبب النَّهي، وهو أنَّه من أسباب هلاك الأمم السابقة. ولا يقف الأمر عند ذلك فحسب، بل حزم رسول الله ﷺ الأمر، بأنَّه لو كان السارقُ فاطمة رضي الله عنها ابنتُه لأقامَ عليها الحدَّ» وهذا على سبيل التمثيل، إذ هيَ ابنة رسول الله ﷺ خير مؤدِّبٍ، وأزكى معلِّم.

وعن أبي سعيد الخدري «أنَّ النبي ﷺ غرزَ بين يديه غرزًا، ثم غرز إلى جنبه آخر، ثم غرزَ الثالث» فأبعدهُ ثم قال: «هل تدرونَ ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه، وهذا أمَلُه، يتعاطَى الأمل، والأجل يختلجُه دون ذلك»(١٣٤).

٥- أسلوب الجواب:

عن موسى بن عبد الله بن يزيد، عن امرأةٍ من بني عبد الأشهل، قالت: قلت: يا رسول الله! إنَّ لنَا طريقًا إلى المسجد مُنتِنَةٌ، فكيفَ نفعلُ إذا مُطرنَا؟

قال: «أليسَ بعدَهَا طريقٌ هيَ أطيبُ منهَا؟!». قلت: بلَى. قال: «فهذه بهذه!»(١٣٥).

أجاب رسول الله ﷺ السائلة بجوابٍ على صورة سؤالٍ، فهي رضي الله عنها كانت تسأل عن حكم الصلاة، وقد أصابَ الثيابَ النَّتَنُ من الطريق، وهذا مظِنَّةُ النجاسة» فقال لها الرسول ﷺ سائلاً ومجيبًا: أليسَ بعدها طريقٌ هيَ أطيبُ منها؟! أي: أليست الأرض الجافَّة التي تأتي بعدَها والخاليةَ من النَّتن طاهِرةٌ؟! قالت: بلى.

فخلصُ رسول الله ﷺ إلى النتيجة بقوله: فهذه بهذه، أي: الأرض التالية مطهِّرٌ للسابقة!

مثال آخر: عن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً سألَ النبي ﷺ عن السَّاعة، فقال: متى السَّاعة؟ قال: «وماذا أعددتَ لهَا؟». قال: لا شيء، إلا أنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ، قال: «أنتَ مع مَن أحببتَ»(١٣٦).

«وهذا الأسلوب في لفت السائل يسمَّى أسلوب الحكيم، وهو تلقِّي السائل بغير ما يطلب، مما يهمُّه أو مما هو أهمُّ مما سأل عنه أو أنفع له»(١٣٧).

ويكون ذلك منه ﷺ للفت السائل عن السؤال، وإرشاده لما هو أهمُّ منه، ففي الحديث السابق مثلاً لفت رسول الله ﷺ السائل عن وقت قيام الساعة الذي اختصه الله -تعالى بعلمه، إلى شيءٍ آخر



وهو أحوج إليه، وأفضل نفعًا عليه، وهو إعداد عمل صالح للسَّاعة.

فقال: «ماذا أعددت لها؟» فقال: حبُّ الله ورسوله، فقال: «أنت مع مَن أحببت».

وزاده الرسول ﷺ أيضًا أنَّ الإنسان يحشر مع مَن يُصاحب ويحبُّ في الدنيا، وفي ذلك إرشادٌ للمسلمين وتحذير لهم من أن يتَّخذوا في الدنيا قرناء غير صالحين، فيكونوا معهم في الآخرة والعياذ بالله! وأسلوب هذا السؤال يدلّ على ضرورة فهم قاعدة فقه الأولويات في التربية والتعليم.

❖ المطلب الثاني: من غايات الرسول ﷺ من السؤالات:

١- التوضيح والبيان والتعليم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ وجد شاةً ميتة أعطيتها مولاةٌ لميمونَة من الصدقة» فقال رسول الله ﷺ: «هلاّ انتفعتم بجلدها؟». قالوا: إنَّها ميتَة.فقال: «إنَّما حُرِّمَ أكلُهَا»[١٣٨].

يبيِّن النبي ﷺ أنَّه يمكن الاستفادة من جلد الميتة بعد دبغه في فرش أو لبس أو غطاء أو جعله وعاء للماء وغير ذلك من وجوه المنافع، لأن المحرَّم فقط أكل الميتة.

قال ابن حِبَّان في صحيحه: «ذكر الخبر الدالِّ على إباحة إلقاء العالم على تلاميذه المسائل التي يريد أن يعلِّمهم إيَّاها ابتداءً، وحَثُّه إيَّاهم على مثلها»[١٣٩].

ومن مثل ذلك أيضًا ما كان ﷺ يورده لبيان مفهوم جديد غير المفهوم السائد» نحو: ما رواه أبو هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرونَ مَن المفلس؟». قالوا: المفلس فينا مَن لا درهمَ له لا متاع! فقال: «إنَّ المفلسَ من أمتي مَن يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وسفكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيعطى هذا مِن حسناته، وهذا مِن حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يقضَى ما عليه، أُخِذَ من خطاياهُم فطرحت عليه، ثم طُرِحَ في النَّار»[١٤٠].

لقد كانت غاية النبي ﷺ من سؤالاته في هذا المثال هي: تعليم أصحابه ما ليس معلومًا لديهم، وهذا من كمال رحمته وشفقته ﷺ على أمته.

فقد سأل النبي ﷺ جمعًا من أصحابه عن شيءٍ ألفوا معنىً له غيرَ الذي سيقررُه عليهم، قال: «أتدرونَ مَا المفلس؟».

وكان الصحابة رضوان الله عليهم إما أن يتكلموا بعلم، وإما يسكتوا بحِلم.

فقد أجابوا عمَّا عرفوه، وتبادر إلى أذهانهم أنَّ رسول الله ﷺ يقصده ويريده، فقالوا: مَن لا درهم له ولا متاع.

فقوَّم رسول الله ﷺ إجابتهم، وصوَّبَ فكرَهم، بأن أخبرهم أنَّ المفلس مَن جاء يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ولكنَّه ضرب، وسفك، وشتَم، أي أنَّه أدَّى حقَّ اللهِ، وقصَّر في حقوق العباد، فكان الذي عناه ﷺ فقير الآخرة لا فقير الدنيا، حيث ضاعت حسناته، وزادت سيئاتُه، ثم طُرِحَ في نار جهنَّم -عياذًا بالله.

٢- الاستفسار والاستعلام.

عن عمرو بن العاص قال: احتلمتُ في ليلة باردةٍ في غزوة ذات السلاسل» فأشفقت إن اغتسلتُ أن أهلِك» فتيمَّمتُ ثم صلَّيتُ بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ. فقال: «يا عمرو، صلَّيتَ بأصحابك وأنت جُنُب؟».

فأخبرتُه بالذي منعني مِن الاغتسال، وقلت: إنِّي سمعتُ الله يقول: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾(١٤١)، فضحكَ رسول الله ﷺ ولَم يقل شيئًا»(١٤٢).

لا تنحصرُ غايات سؤالات رسول الله ﷺ فقط بالاستفسار والاستعلام، وإن كانت هي مرحلةً مِن المراحل، لأنَّ رسول الله ﷺ كان يبني على ذلك السؤال - والذي عادة ما يكون عن حَدَثٍ أو قول حصل أمامه- أحكامًا، كأن ينكرَ على المسؤول، كقوله ﷺ لأسامة بن زيد: «أقتلتَه بعد أن قال: لا إله إلا الله؟»(١٤٣).

أو يقرر الفعل الذي حصل، كالحديث السابق، ففي تبسُّمه ﷺ دليل على جواز التيمم عند شدَّة البرد وتقرير لذلك، بل أنَّه ﷺ لم يسكت وحسب، مع أنَّ سكوته يكفي في التقرير، وإنما تبسَّم وهذا أقوى في الدلالة على الإقرار.

٣- التحفيز على العمل والالتزام:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لي بكعب بن الأشرف» فإنَّه قد آذى اللهَ ورسولَهُ؟» فقامَ محمّد بن مسلمَة، فقال: يا رسول الله: أتحبُّ أن أقتُلَه؟. قال: «نعم»(١٤٤).

مثال آخر:

عن عوف بن مالك قال: كنَّا سبعةً، أو ثمانيةً، أو تسعةً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟!» -وكنّا حديثي عهدٍ ببيعةٍ- قلنا: قد بايعناكَ، حتَّى قالَها



ثلاثًا، فبسطنَا أيديَنَا فبايعنَاهُ. فقال قائلٌ: يا رسول الله، إنَّا قد بايعنَاكَ، فعلامَ نبايعُك؟! قال: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شَيئًا، وتُصَلُّوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا»، وأسرَّ كلمةً خفيفةً. قال: «ولا تسألوا النّاس شيئًا». قال: فلقد كان بعض أولئك النّفر يسقطُ سَوطُه، فما يسأل أحدًا أن يناوِلَه إيَّاه»(١٤٥).

ورد في الحديثين السابقين سؤالان غايتهما التحفيز على العمل والالتزام، ففي الحديث الأول سأل رسول الله ﷺ أصحابَه محفزًا لهم بقوله: «مَن لكعبِ بن الأشرف؟!» مع بيان سبب هذا القول.

فكعب بن الأشرف من يهود، وكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ، ولذلك وجَّه رسول الله ﷺ هذا السؤال لينَدُبَ الصحابة رضوان الله عليهم للقيام بعمل تجاهه. فقال محمد بن مسلَمة رضي الله عنه: أتحبُّ أن أقتُلَه؟ قال: «نعم».

وفي هذا دلالة على أنَّ القائد يوجِّه أوامره بصيغةٍ فيها تحفيزٌ وندبٌ، وفيه دلالة على عِظَم التربية في نفوس الصحابة، فهم مستعدّون للقيام بأي عمل فيه مرضاةٌ لله ولرسوله ﷺ.

أما الحديث الثاني فقد سأل ﷺ بصيغة فيها حضٌّ على المبايعة حيث قال ﷺ: «ألا تبايعون رسول الله؟». وذلك السؤال فيه تحبيبٌ للصحابة في مبايعته ﷺ، فهو لم يقل: بايعوني! ولم يقُل ألا تبايعونني؟!، ولكن قال قولَةً بصيغة سؤالٍ فيه حضٌّ.

واستخدم لفظة رسول الله، ليذكِّرَهم بعِظَم أجر ذلك العمل، فهم إذ يبادرون لطاعته يطيعون رسول الله، الذي بطاعته يُنَال رضا الله (عزَّ وجَلَّ).

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ❁ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾(١٤٦).

وفي نفس الوقت يحضُّهم على القيام به بقوله: «ألا تبايعون رسول الله؟».

وليس هذا فحسب، بل يعيد ذلك السؤال ثلاث مرّات ليكون أكثرَ تأثيرًا عليهم في سرعة الإقبال للمبايعة.

٤- التودد والتلطُّف والطمأنَة:

عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلتُ للنبي ﷺ وأنَا في الغار: لو أنَّ أحدَهُم نظرَ تحتَ قَدَمَيْه لأبصَرَنَا. فقال: «ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ



باثنين الله ثالِثُهُمَا؟»[١٤٧].

مثال آخر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يدخلُ علينا، ولي أخٌ صغير يكنَّى أبا عُمير، وكان له نُغرٌ يَلعَبُ به، فمات، فدخلَ عليه ﷺ ذات يوم فرآه حزينًا. فقال: «ما شأنُه؟». قالوا: مات نُغَرُه. فقال: «يا أبا عُمير ما فعلَ النُّغير؟»[١٤٨].

في الحديث الأول يطمئن رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق يومَ كان معه في الهجرة من مكّة إلى المدينة، حين اختبأ مع رسول الله ﷺ في الغار، ولحقه المشركون حتى وصلوا إلى الغار، ولو أنَّ أحدَهم نظر إلى تحت قدميه لرآهما، ففرق أبو بكر على رسول الله، فقال له النبي ﷺ مطمئنًا: «ما ظنُّكَ باثنين الله ثالِثُهُمَا؟!».

وفي الحديث دلالة على منزلة أبي بكر فقد «قوّى رسول الله ﷺ قلب أبي بكر ببشارة: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[١٤٩].

فظهرَ سرُّ ذلك الاقتران بالمعيَّةِ لفظًا، كما ظهرَ حكمًا ومعنًى، إذ يقال: رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله رضي الله عنه، فلمّا مات قيل: خليفة رسول الله»[١٥٠].

أما الحديث الثاني ففيه من الفوائد الكثيرَ الكثيرَ، حتَّى أنَّ أحدَ العلماء استنبط أربع مائة فائدة منه، قال العلاَّمة المؤرِّخ الأديب المَقرِّي عند ذكر لسان الدين ابن الخطيب في وصف مدينة (مكناسة -بالمغرب-: «أملى ابن الصَّبَّاغ بمجلس درسه بمكنَاسَة في حديث: «يا أبا عمير ما فعل النغَير؟!»، أربعمائة فائدة»[١٥١]، وما يهمني تلك الفوائد التي تتعلَّق بأسلوب التعليم عن طريق السؤال.

فقوله ﷺ: «يا أبا عُمير ما فعلَ النُّغير؟».

سؤال غايتُه التودد والملاطفة مع الصبيان الذين لم يُميِّزوا، وتتجلَّى هذه العشرة الحسنة بما يلي:

١- تكنيَة النبي ﷺ الصبي مَع أنَّه لم يولد له ولدٌ.

٢- تقريره ﷺ لعب الصغير بالطَّير دون تعذيب له.

٣- مخاطبته ﷺ الصبي على قدر عقلهِ وإدراكِه» ليذهب عنه الحُزنَ.

٤- نداء الرسول ﷺ الصبي بكنية مصغَّرة، يدلُّ على عِظَم الملاطفة.



٥- سؤالُه ﷺ الصبيَّ عن أمرٍ يعلَمه، من غير أن يكون استهزاءً، فيه مِن مداعبة وتودد ورحمة لهذا الصبي الصغير.

٥- بيان العلَّة وإزالة الشبهة.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يُسألُ عن شراء التَّمر بالرطب؟. فقال لِمن حولَه: «أينقصُ الرُّطبُ إذا يبُسَ؟». قالوا: نعم» فنهى عن ذلك(١٥٢).

لم يكن سؤال الرسول ﷺ سؤال تعلُّمٍ واستفسار، بل كان سؤال عالمٍ، إذ أنَّ من البداهة لكلِّ مَن يعيش في جزيرة العرب - بلاد التمر والرطب-: أنَّ الرُّطب تنقصُ إذا يَبَست، ولكنَّه ﷺ سألهم لينبِّهَهُم إلى أنَّ علَّةَ النَّهي عن بيع الرطب بالتمر، هي نقصُه عند يُبسه، فلا يجوز أن يباع هذا بهذا على سبيل التساوي بالكيل، فأشعرهم بعلَّة الحكم، فكان ذلك قاعدةً إلى آخر الزمان(١٥٣).

❖ الخاتمة:

بعد هذه الدراسة الموجزة التحليلية التربوية لسؤالات الرسول ﷺ في السنة، والتي أوردناها على سبيل الذكر والتنبيه لا على سبيل الاستقصاء والحصر، فلا غرابة أنَّ تعدَّ أفضل السؤالات أسلوبًا، ووسيلة، ومقصدًا، فقد حوت أكمل الخصائص، وتقيدّت بأدقِّ الضوابط.

لقد بيّنت هذه الدراسة مجموعة من الحقائق المهمة أبرزها:

١- أن سنّة نبيِّنا ﷺ نبعٌ سخيّ، ومصدرٌ ثريّ، للأمة الإسلامية، دائم العطاء، متجدد النفع، وليس ذلك من جهة الأحكام الشرعية وحسب، بل مِن حيث إرشاد الفكر، وتوجيه السلوك، وبناء الحضارة الإسلامية على أقوى الدعائم.

٢- لا تعارض بين السنّة والعلم، فهي ليست خصمه ولا ضدّه، ولم يعرف المسلمون منذ القرون الأولى، ما عرفته المجتمعات الأخرى من الصراع بين العلم والدين، فالحقيقة أن العلم عندنا دين، والدينُ عندنا علم، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" إنه لا تعارض بين صحيح المنقول، وصريح المعقول".

٣- سؤالات الرسول ﷺ المتمثِّلة بأساليبها ووسائلها، وخصائصها وضوابطها، مِن أهمِّ ما ينبغي أن يرجعَ لها الدارسون التربويون، فهي ليست محض نظريَّة غير مطبَّقة ولا مجرَّبة، بل هي واقعيَّة وشموليَّة، تحقق مصالح للفرد

والمجتمع، وهي بما تتمتَّع به من ضوابط تعطي الأمة منهجًا في كيفيّة السؤال الصحيح الذي يؤدي الغرض، ويحقق المقصود.

٤- وضعت هذه الدراسة سؤالات الرسول ﷺ في صورة مبادئ وأسس للتعلّم والتعليم، مراعية الفروق الفرديّة، والتدرّج، وتشجيع المحسن والثناء عليه، والتنبيه على الخطأ دون ذكر صاحبه.

٥- استخدم الرسول ﷺ في سؤالاته وسائل معينة، وهي وسائل معنوية، ووسائل حسيّة» مما يدل على أنّ تلك السؤالات تقدّم مثالاً حيًّا لأفضل ما يمكن أن تتوصل له الدراسات التربوية، فالدارسون التربويون، توصلوا في أواخر الستينات من القرن العشرين إلى أسلوب السؤال في التعليم، وبيّنوا أهميّته، كما ذكروا دور الوسائل المعينة. مع أنّ الإسلام بيّن ذلك قولاً وفعلاً قبل أكثر مِن ألف وأربعمائة سنة.

٦- إن سؤالات الرسول ﷺ قد آتت أكلها في تحقيق مقاصدها على صعيد الفرد، وعلى صعيد المجتمع المسلم » فنشأ في كنفها العقل المسلم المتميّز. وهي قادرةٌ على تحقيق ذلك في كل زمان إذا روعيت الثوابت والمتغيرات، والوقائع والمآلات.

٧- إنَّ على القاضي، والمفتي، والمعلم، وطالب العلم، والمناظر، أن يسترشدوا بسؤالات الرسول ﷺ، فيجعلوا لسؤالاتهم خصائص مطابقة لسؤالات الرسول ﷺ، وكذا متقيّدة بضوابطه، مستخدمة أساليبه ومقاصده.

٨- إنَّ مما يكسب سؤالات الرسول ﷺ واقعيتها وأهميتها، هو أنَّ أساليبها ووسائلها قابلة للزيادة، والإفادة مِن كل جديد لا يتعارض مع الشرع، فعلى سبيل المثال، كان رسول الله ﷺ يستخدم وسائل حسيّة كالتمثيل بالجدي الأسك أو السؤال عن فعل شخص ما بعينه، وهذا يمكن الزيادة عليه واستخدام وسائل غيره.

٩- السؤال ذو أهميّة بالغة، فهو نصف العلم، فإذا لم نحسن السؤال أضعنا نصف العلم،ولذلك ينبغي أن ندرس كيفية السؤال، ونتحلّى بآدابه، ونتخلّق بأخلاق السائل الأسوة ﷺ.

١٠- إن التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية كثيرة، ومنها الأنماط التربوية الدخيلة، والتي تعكس في أغلبها ثقافة الغير البعيدة عن ديننا الإسلامي، ولذلك ينبغي الرجوع إلى القرآن والسنّة ودراستها



مِن قبل أهل الاختصاص كل في موضوعه، ثم الخلوص باستنتاجات يفيد منها كل باحث إسلامي غير مختص في علوم الشرع، وذلك لتزويده بالمعين الذي يوافق شرعنا، وبالتالي نغلق على الثقافات الغربيّة باب الدخول علينا، بقصد تضليل أبناء أمتنا والتأثير على عقيدتهم الإسلاميّة.

وأخيراً نقول: هذا جهد المقل، فإن أصبنا فمن الله عز وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، والله ورسوله بريئان مما قلنا.. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الهوامش:

(١١٧) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ج١،ص١٧٩.

(١١٨) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج١، ص٤٤١.

(١١٩) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب فضل السجود رقم (٨٠٦). وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢)، واللفظ للبخاري.

(١٢٠) سورة القيامة: آية ٢٢-٢٣.

(١٢١) أبو العز الحنفي، محمد بن علاء الدين (ت ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تخريج الألباني محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٩٥.

(١٢٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم (٥٢٨). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، رقم (٦٦٧).

(١٢٣) العاليَة: قرى بظاهر المدينة النبويَّة. انظر كتاب ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، ص٨١٤.

(١٢٤) كنفَتيه: أي جانبيه، انظر كتاب ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مصدر سابق، ص٨١٤.

(١٢٥) أسكَّ: أي مصطلم الأذنين أي مقطوعهما، المصدر ذاته، ص٤٣٧.

(١٢٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٥٧).

(١٢٧) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، رقم (٥٣٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللعان، رقم (١٥٠٠). والاورق هو الاسمر، " انظر ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر ٥/٣٨٦ "

(١٢٨) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، ج١٠، ص٦٣٧٩.

(١٢٩) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في



كتاب المكاتب: باب ما يجوز من شروط المكاتب، رقم (٢٥٦١).

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب العتق: باب إنما الولاء لمن أعتق، رقم(١٥٠٤).

(١٣٠) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير: سورة المنافقون: باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ رقم (٤٩٠٥). وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب: باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا. رقم (٢٥٨٤). وكسع أي ضرب، " انظر ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والاثر، ٤/٣١٣ " .

(١٣١) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، المكتبة التجارية، مصر، د.ت، ج٢، ص٥٧٣ .

(١٣٢) محمد قلعه جي، دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ من خلال سيرته الشريفة، دار النفائس، بيروت لبنان، ٢٠٠١ م، ص ٢٩١ ,

(١٣٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحدود، باب لعن السارق إذا لم يسلّم، رقم (٣٢٨٨). وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، رقم (١٦٨٨).

(١٣٤) أخرجه أحمد في المسند، رقم (١١١٣٢)،ج١٧، ص٢١٢ .

(١٣٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة: باب في الأذى يصيبُ الذيل، رقم (٣٨٣). وإسناده صحيح.

(١٣٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة: باب مناقب عمر بن الخطاب، رقم(٣٦٨٨)، واللفظ له. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة: باب المرء مع من أحب. رقم (٢٦٣٩).

(١٣٧) أبو غدة، الرسول المعلِّم ﷺ وأساليبه في التعليم، ص ص ١٤٥-١٤٦.

(١٣٨) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي، رقم (١٤٩٢).

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ، رقم (٣٦٣).

(١٣٩) ابن حبان، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط. مصدر سابق. ج١، (ص٣٠٦).

(١٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١).

(١٤١) سورة النساء: آية ٢٩ .

(١٤٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب الجنبُ يتيمم. رقم (٣٣٤)، بإسناد صحيح.

(١٤٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث النبي أسامة إلى الحرقات من جهينة، رقم (٤٢٦٩).

(١٤٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي: باب قتل كعب بن الأشرف، رقم (٤٠٣٧). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير: باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود. رقم (١٨٠١).

(١٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة، رقم (١٠٤٤)، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة: باب كراهية المسألة، رقم (١٦٤٢).



(١٤٦) سورة آل عمران: آية ٣١-٣٢.

(١٤٧) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، رقم(٣٦٥٢). وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه رقم (١٨٥٤).

(١٤٨) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب: باب الانبساط إلى الناس، وفي باب التكنية للصبي وقبل أن يولد للرجل. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب: باب جواز تكنية مَن لم يولد له وتكنية الصغير. وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، وابن ماجه، كتاب الأدب. واللفظ لأبي داود.

(١٤٩) سورة التوبة: جزء من آية: ٤٠.

(١٥٠) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الفوائد، تحقيق د. ماهر منصور وكمال الجمل، مؤسسة الريان ودار اليقين، مصر، المنصورة، ١٩٩٩م، ص١٠٢.

(١٥١) أبو غدة، الرسول المعلِّم وأساليبه في التعليم، مرجع سابق، ص١٦٤، نقلاً عن كتاب «نفح الطِّيب» ج٦. ص٢١٥، في الباب الخامس منه.

(١٥٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في النهي عن المُحاقلة والمُزابَنة، رقم (١٢٢٥). وأخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب التجارات، باب بيع الرُّطب بالتمر، رقم (٢٢٦٤)، وإسناده صحيح. واللفظ للترمذي.

(١٥٣) انظر كتاب أبي غدة، الرسول المعلِّم وأساليبه في التعليم، مرجع سابق، (ص١١٢).



